

المحاضرة الرابعة

- إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ،
ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي نبينا محمد ،
وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار
ثم أما بعد ، ،

- لازلنا في باب العفو والصفح عن الناس :

٢٤٥/١٨٤ - عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :
« علموا، ويسروا [علموا ويسروا (ثلاث مرات) / ١٣٢٠] ، ولا
تعسروا، وإذا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فليسكت [مرتين] » .
صحيح لغيره - « الصحيحة » (١٣٧٥) : [ليس في شيء من الكتب الستة] .

✿ الشرح :

- **علموا** : أي علموا الناس ما يلزمهم من أمر دينهم ، وهذه قضية تحتاج إلى تأمل ،
فالمعلم لا بد أن يختار ما يتكلم به مع الناس ؛ لأن الناس طبقات ، والعقول متفاوتة .

- فبعض الناس يأتي بعضال المسائل مثلاً لصغار الطلاب ؛ من باب تفتيح الأذهان أو ما شابه ذلك ، ولكن هذا ليس من السنة ؛ فالأصل في التعليم أن يكون بسهولة ويسر ؛ حتى يفهمه المخاطب ، فالمخاطب نخاطبه بقدر عقله ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
 " حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتَّحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ " .
 - ولا بد للإنسان المبتدئ أن يتعلم صغار العلوم قبل كبارها .
 وأحسن وأفضل مُعَلِّم هو النبي صلى الله عليه وسلم ،
 كما قال معاوية بن الحكم : ((ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه صلى الله عليه وسلم)).

- **ويسروا** : فالشريعة تستشرف دوماً للتيسير ، قال تعالى " وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ " .
 * عن جابر قال : خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله ! ألا سألوا إذ لم يعلموا !؟
 وإنما شفاء العيِّ السؤال ، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب - شك الراوي - على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده " .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بال أعرابي في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء ، أو ذنوباً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين " . رواه البخاري
 فعندما رأى النبي هبة الصحابة في وجه الأعرابي ، وأدرك أن مثل هذا الأعرابي جاهلٌ بأحكام المساجد ، غير قاصد هتك حرمتها ، فقال : ((لا تُزِرْموه ، دعوه))؛ وذلك حتى لا يتأذى بجبس بوله وانقطاعه ، وأرشدهم إلى حلٍ بسيطٍ تصغر بمثله كلُّ مشكلةٍ مهما كبرت في عيون أصحابها ، فقال :
 ((هريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء؛ فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين))،

ثم لما أتمَّ الرجل حاجته دعاه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال له مَوْجَّهًا وناصحًا:
 ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القدر، إنما هي لذكر الله - عزَّ وجلَّ -
 والصلاة وقراءة القرآن...)).

- وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم " مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا تَرْعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ " .

- والشاهد من كل هذا : أنك لا بد أن تُبين للناس أمر دينهم بسهولة ويُسر ، فكما قال النبي صلى الله عليه وسلم
 " إِنَّ الدِّينَ يُنْسَرُ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا " .

- وبالطبع المسألة ليست مسألة هوى ، ليأت إنسان ويقول أنا أقول باليسر ، وهو في الحقيقة يأتي بزلات العلماء
 التي تُخالف إجماع الأمة ، ويبدأ بنشرها بين الناس ، فهذا ليس بيسر وإنما هو هوى نفس !

- **وإذا غضب أحدكم** : الغضب هو فوران يحدث في القلب ، يجعل الإنسان يتصرف بحمق .

ولذلك فإن الغضب من الشيطان ، وقد بين النبي في أكثر من حديث أنه لو استعاذ المرء بالله من الشيطان
 الرجيم ؛ لذهب عنه الغضب ، كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم " إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه
 ما يجد، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " ، وقال النبي في الحديث " إن الغضب من الشيطان ،
 وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما يطفا النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " .

ومن توجيهه صلى الله عليه وسلم عند الغضب " إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس،
 فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليصُجع " .

- **فليسكت** : لأنه كلما تكلم الإنسان حال الغضب ، ربما قال كلامًا يلوم نفسه عليه بعد ذلك ،
 وربما فعل فعلًا يندم عليه أو يُلام عليه .

- والعلماء يقولون أن الغضب أثر من آثار الكبر - عيادًا بالله ؛

لذلك عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكبر ؟ قال : الكبرُ : بَطْر الحَقِّ وغمط النَّاسِ " .

- فيغضب لنفسه ويريد الانتصار لنفسه ، والنبي صلى الله عليه وسلم ما غضب وما انتصر لنفسه قط ،
 ما كان يغضبُ إلا إذا انتهكت حرمة من حرمت الله عزوجل ، ولنا فيه أسوة حسنة .
- والغضب من الأخلاق الجبليّة والمكتسبة في نفس الوقت .
- فلربما يولد بهذا الداء - داء الغضب - فإن تمّ صار متصفاً به ، وإن أجم نفسه عن الوقوع فيه ذهب عنه .
- ولذلك لا يأت رجل ويقول : أنا سريع الغضب ، وأنا لن أتغير !
- نقول له : لا ؛ لأن الإسلام يهذب صاحبه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، ومن يتحرّ الخير يُعطه ، ومن يتوقّ الشر يوقه " .
- وقد ذهب رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : عطني يا رسول الله. قال له: " لا تغضب " قال له
 غير ذلك ؟ قال: " لا تغضب " أعاد عليه الكرة مرّاتٍ عديدة، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول له: لا تغضب".
- لأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن هذا الرجل سريع الغضب ؛ فلما علم عنه ذلك نهاه عن الغضب .
- فنأخذ من هذا الحديث أن ذهاب الغضب يأتي بالتعلم ، فلو تعلّم الحلم لحلم ، ولو تعلّم الصبر لصبر
 ولما غَضِب أبداً ، إلا إذا انتهكت حرمة من حرمت الله .

أهـ

.....

١٠٨ - باب الانبساط إلى الناس

٢٤٦/١٨٥ - عن عطاء بن يسار قال : لقيتُ عبدَ الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : فقال : « أجل ، والله ! إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً^(١) ومبشراً ونذيراً ﴾ [الأحزاب : ٤٥] وحرزاً للأمين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله تعالى ، حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتحوا بها أعيناً عمياً ، وأذاناً صماً ، وقلوباً غُلُفاً . صحیح

❁ الشرح :

س : لماذا سأل عطاء ، عبد الله بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله في التوراة ؟؟

- ج : لأن عبد الله بن عمرو بن العاص كان ينظر ويقرأ كثيراً في كتب أهل الكتاب ، ويعتني بذلك ؛ ليعلم ما يعتقدونه ، فيرد عليهم شبهاتهم .
- وهذه القضية تكون بحسب قدرات الناس ، بمعنى أنه لا يجوز لكل أحد أن ينظر في كتب أهل الكتاب ، لا سيما لو كان رجلاً لا يعلم عقيدة الإسلام علماً راسخاً قوياً ، وعنده بعض الضعف في الأحكام الشرعية والاعتقادية ، فلا يجوز له أن يقرأ في كتبهم أو يناقشهم ويجادهم ؛ لأن الغلبة حينها تكون لهم .
 - فالأصل - حتى تستطيع أن تجادلهم بالتي هي أحسن - أن تكون عالماً بما يعتقدونه من منهج وعقيدة وأحكام .
 - والدليل على ذلك : حديث معاذ بن جبل ، لما بعثه صلى الله عليه وسلم إلي اليمن فقال له : " إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب "
- لماذا قال له ذلك ؟؟ حتى يتيهاً معاذٌ لمناقشتهم ؛ لأن أهل الكتاب هم أهل علم في الجملة .

- فعبد الله بن عمرو بن العاص كان من علماء الصحابة ، وهو ممن أكثر الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقرأ في كتب أهل الكتاب كثيرًا .
- فسأله عطاء بن يسار عن صفة النبي في التوراة : وهذا أيضًا يرد على النصارى إنكارهم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم للناس كافة ، فإذا كانت التوراة التي جاء الإنجيل ليُتمم ويُقرّ ما فيها ، قد ذُكر فيها وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف تنكرون بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إليكم بعد هذا !!؟
- ولكنهم " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ " .
- وكذا اليهود ، كما قال الله تبارك وتعالى عنهم " كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ " فكذبوا بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، مع أن التوراة التي لم تُحرّف - وهي معهم الآن - فيها ذكر للنبي ، ويُصلّون صلاتهم ، ويذكرون اسم النبي صلى الله عليه وسلم !
- فالتوراة أتت فيها وصف النبي وذكره ، وما وُصف به في التوراة كما وُصف في القرآن ، قوله :
- يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا " : أي تشهد لله بالوحدانية ، وأنه لا إله غيره ، وكذلك تشهد على الناس بأعمالهم يوم القيامة ، كما قال تعالى " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا " . وكذلك يشهد على أمته بالبلاغ ، وأنه بلّغ الرسالة وأدى الأمانة صلى الله عليه وسلم ، لأمته ولسائر الأمم .
- وَمُبَشِّرًا : يعني للمؤمنين بالثواب وما عند الله من الجزاء .
- وَنَذِيرًا : يعني للكافرين .
- وَحَرُزًا : يعني حماية ووقاية .
- لِلْأُمِّيِّينَ : الأمي : هو الذي لا يكتب ، وقيل للعرب أميون ؛ لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة ونادرة .
- وقد وردت هذه الكلمة في الكتاب والسنة ،
- كما قال تعالى " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " .

- وثبتت في السنة " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب " رواه البخاري ومسلم .

س : فإن قيل : هل هذا الحديث يقرر أن من يتعلم العلوم الدنيوية مبتدع وعلى غير هدي النبي ،

أو : أن هذا الحديث يُنافي ما يتعلمه المسلمون اليوم من علوم ؟

ج : نرد على هذه الشبهة فنقول :

هذا الحديث قد خرج مخرج الغالب ، فقوله - صلى الله عليه وسلم " أمة أمية " :

أي لم تتعلم القراءة والكتابة "حينها" ، فلم يكونوا متعلمين للقراءة والكتابة في هذا الوقت ؛
ولذا جاءهم رسول من أنفسهم ،

- وأكثر أهل العلم على أن العلم كله محمود إذا كان يُقرب من الله تعالى ،

فإذا كان علمٌ دنيوياً يقرب من الله فلا بأس به ، ولكن الأصل هو تعلم العلم الشرعيّ الأخرى .

- فإن قيل : قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث في عصره !

قلنا : كانت هذه المرحلة في بداية الأمر ؛ حيث نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة الأحاديث ؛

خشية الخلط بين السنة والقرآن ، ولأمر واعتبارات أخرى ،

وعمدة هذا النهي ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليحمه) فهوا عن كتابة الحديث في هذا الوقت ؛ سداً للذريعة .

- **أنت عبدي ورَسُولِي** : فجمع بين العبودية والرسالة له صلى الله عليه وسلم .

- **وكلمة " عبدي "** : ترد على من يُالله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويضعه فوق منزلته ،

وعلى من يُغالي فيه صلى الله عليه وسلم .

- **وكلمة " ورَسُولِي "** : ترد على من يُنكر رسالته - صلى الله عليه وسلم - من اليهود والنصارى .

- **سَمَيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ** : المتوكل يعني يلجأ إلى الله ويعتصم بجنابه .

* قال الحافظ في الفتح " سَمَيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ " : أي على الله عزوجل لقناعته باليسير ، والصبر على ما كان يكره " .

- فالنبي صلى الله عليه وسلم هو سيد المتوكلين ، لما أتاه رجلاً وهو نائمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ يريد قتل النبي، فاستيقظ النبي ، وهذا الرجل قائمٌ على رأسه ، فَقَالَ له : يا محمد مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : قُلْتُ : اللهُ " .
- وقال صلى الله عليه وسلم : " لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا " .

* **والتوكل معناه** : صدق اعتماد القلب على الله في جلب النفع أو دفع الضر ، مع الأخذ بالأسباب الشرعية .
- فالأسباب الشرعية : هي التي شرعها الله ، وأباح لنا الأخذ بها .
- فهناك أسباب غير شرعية ، كمن يطلب الرزق بمعصية الله ، فاتخذ سببًا للرزق لم يجعله الله سببًا ،
- فهذا نذكره بقول الله تعالى " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ " .

- وبقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث " إِنَّ رَوْحَ الْقُدْسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِنْبَاءَ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُتَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ " .

- ووردُ على من يقول : الغاية تُبرر الوسيلة .
- فنقول : لا ، الوسيلة لا بد أن تكون ربانية ، وكذا الغاية لا بد أن تكون ربانية .

- **لَيْسَ بِفِظٍّ وَلَا عَلِيظٍ** : هذا كقول الله تعالى في القرآن :

" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ " .

- قال الإمام البغوي في تفسير قوله " فَظًّا " : أي جافيًا ، سيئ الخلق ، قليل الإحتمال .

- فالنبي صلى الله عليه وسلم كان سهلًا هينًا لينًا ، وكان رفيقًا بالمخالف ، وبالجاهل ،

فما نهر النبي صلى الله عليه وسلم أحدًا قط .

- وانظر إلى أنس رضي الله عنه وهو يقول : " لَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ ،

فَوَاللَّهِ مَا قَالَ لِي : أُفٍّ قَطُّ ، وَلَمْ يَقُلْ لِي شَيْءٍ فَعَلْتُهُ : لِمَ فَعَلْتَ كَذَا ، وَلَا لِي شَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ إِلَّا فَعَلْتَ كَذَا ؟! " .

س : ولكن كيف يمكن الجمع بين هذه الآية " **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** " ،

وبين قوله " **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** " ؟

ج : أن قوله تعالى " **وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** " هذا مقام جهاد بعد إقامة الحجة ،

أما قوله " **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** " .. فهذا في مقام الدعوة لله ، لا سيما مع المسلم .

- **وَلَا صَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ : الصَّخَبُ** : هو ارتفاع الأصوات في الأسواق .

- **وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ** : وهذا مثل قول الله تعالى " **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ** " .

- **وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ** : أي يتجاوز عن الذنب ويترك العقاب عليه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتصر

ولم يغضب لنفسه قط إلا إذا انتهكت محارم الله غضب .

- **وَلَنْ يَغْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ بَأَن يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** : الملة العوجاء أي ملة الكفر ،

أي يقيم صلى الله عليه وسلم ملة الإسلام ، فينفي الشرك ويثبت التوحيد .

- **فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا** : أي أعيينا عمت عن الحق ، فجاءت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأعين العمياء

التي عمت عن الحق ووقعت في الباطل .

- **وَأَذَانًا صُمًّا** : هي الأذان التي صممت عن سماع الحق ، فجاءت رسالة النبي لتفتح هذه الأذان .

- **وَقُلُوبًا غُلْفًا** : يعني قلوبا مغطاة عن سماع الحق ، فمن حجب قلبه عن الحق ، فلا خير ولا نفع فيه ،

فإذا صلح القلب صلح الجسد كله ، وغذا فسد القلب فسد الجسد كله ،

<< فإن صحَّت بصيرتك ، صحَّ بصرك >>

هذا والحمد لله رب العالمين ، ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم